Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولأنه شاعر أولاً وأخيراً، ومهما طوّح به العمل السياسي وصروف العيش، فإن حرية التعبير هي في رأس ما يقلقه، لذلك يتلوّى:

سبّة الدهر أن يحاسب فكر في هواه وأن يغلّ لسانُ

إنها مكابدة اللحظة التي جعلته يقول (جلاني الظلم أشلاءً ممزقةً)، اللحظة التي تمتد منذ كان في العشرين- أقلّ أوأكثر بقليل، بحسب خلاف المؤرخين في ميلاده ما بين 1898- 1904- حين أمر الفرنسيون باعتقاله إثر معركة ميسلون (1920) فالتجأ إلى بيت البطريرك غريغوريوس حداد، ثم تخفى لدى صديق في حماة حتى وشى به مخبر للفرنسيين، فَزُجّ به في خان، وعُذّب قبل أن يُساق إلى سجن حمص، فسجنَ الديوان العرفي في زقاق البلاط في بيروت، فجزيرة أرواد التي لن تلبث أن تغدو المنفى الفرنسي الأول للمواطنين السوريين المقاومين.

كان ذلك الشاب قد رافق الوفد الذي ترأسه الشهيد يوسف العظمة إلى الشيخ صالح العلي لتنسيق الكفاح ضد الفرنسيين قبل احتلالهم دمشق. وكان النصيب المبكر للبدوي ما تقدم وامتد حتى 1922. وفي هذه السنة، بعد المنفى، يلتقي الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي في دمشق، ويكتب قصيدته (يا شاعر التاج) معارضاً قصيدة الزهاوي في الرمثية بين الإنكليز والعراقيين.

وتتتالى قصائد البدوي وقد أطلقه يوسف العيسى -صاحب ومحرر جريدة ألف باء- في المشهد الشعري باللقب الخالد: بدوي الجبل. هكذا جاءت أولاً قصيدته التي تستلهم صيام المناضل الإيرلندي مارك سوين عن الطعام حتى الموت احتجاجاً على وجود الإنكليز في بلاده. وكان البدوي قد نقش على ذراعه في سجن أرواد الوشم التالي: (تذكار السجن الفرنسي). وتلي هذه القصيدة قصيدة (تلك الأقانيم الثلاثة) التي تؤبن المنفلوطي والألوسي في المجمع العلمي العربي في دمشق. وفي المجمع نفسه ينشد الشاعر بعد حين قصيدته (أهوى الشآم). و(تعالوا نعدّ الصيد). ويتعزّز حضور الشاعر الشاب بصدور ديوانه الأول عام 1929، ويعبر كبار الشعراء والكتاب عن غبطتهم وتقديرهم للموهبة وللصوت الخاص ولألق الأصالة والمعاصرة، ويتواصل هذا التعبير ويتّقد حيناً بعد حين، والصدارة تفسح للبدوي، حتى يطغى زمن الجحود.

هكذا قال عبد القادر المغربي في بدوي الجبّل: الشاعر الذي تمرد على ناقوس التدرج. ولأن البدوي طلع حقاً شاعراً كبيراً، لقّبه أمين نخلة (أمير الشعراء)، ولقّبه أكرم زعيتر (شاعر العربية)، وقال فيه الجواهري نفسه: